Received: 16/8/2021 Accepted: 29/9/2021 Published: 2021

سياسة الاستيطان الإسباني في البيرو في القرن السادس عشر

أ. م. د. فاتن محيي محسن
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ/ تاريخ أوروبا حديث
www80ff@gmail.com

مستخلص البحث :

إن سياسة الحكومة الإسبانية نحو العالم الجديد لم تقتصر على فكرة التبادل التجاري وإقامة المحطات التجارية في المناطق المكتشفة، بل كان الاستيطان في تلك الأراضي بغية تحويلها إلى العقيدة الكاثوليكية وللحضارة الأوروبية بكل سماتها، وبذلك أصبحت أراضي العالم الجديد ليست مجالاً للمغامرات الكشفية إنما مناطق لاستيطان الكثير من الإسبان، وفي النصف الأول من القرن السادس عشر نجح الإسبان في غزو المكسيك والبيرو، فوضعوا حجر الأساس لإمبراطورية إسبانية في العالم الجديد، وبذلك دعموا نمو السوق العالمي لأن تلك الممتلكات زودتهم بالمال الذي يحتاجونه بشدة للتوسع السياسي والاقتصادي من خلال استحواذهم على المعادن الثمينة (الذهب والفضة) في العالم الجديد، والتي لها تأثير شديد على الرخاء الأوروبي.

يناقش البحث بداية الاستيطان الإسباني في البيرو، ثم يسلط الضوء على سياسة تنظيم وتوسيع الإدارة الاستيطانية في البيرو للمدة 1518-1598 مستعرضاً أهم القوانين التي شرعت كمرحلة جديدة في الهيكل الإداري الإسباني في العالم الجديد.

الكلمات المفتاحية: الاستيطان ، البيرو، بيثارو، الإمبراطورية الإسبانية.

أولاً : بداية الاستيطان الإسباني في البيرو

كانت البيرو موطناً لأقدم الحضارات، وأن الإنجازات التي حققها الإسبان في غزو المكسيك عام 1521 ألقت بظلالها على اكتشاف البيرو من قبل المستكشف فرانثيسكو بيثارو Francisco Pizarro (1478-1541) من سكان أيستريمادورا غرب إسبانيا، وليست هناك معلومات دقيقة حوله حتى عام 1510 عندما شارك في حملة على جزيرة هيسبانيولا في البحر الكاريبي، كما شارك في حملة اكتشاف المحيط الهادئ، وساعد في إنشاء مستوطنة داريين في بنما، وبعد عدة حملات استكشافية على شواطئ المحيط الهادئ حصل على قطعة أرض ملائمة للعيش في بنما. وهنا في عام 1522 تعرف على الجندي دييغو دي الماكرو، وكلاهما متأثر بشدة بوجود أرض مليئة بالذهب والفضة تقع ما وراء جبال كورديليراس غرب أمريكا الجنوبية، وبسبب القصص الغريبة التي حيكت حول المصاعب والمخاطر في الطريق المؤدي إليها جعلها جذابة أكثر للمغامرين الذين جمعوا الأموال للقيام بحملة استكشافية بمساعدة القس ايرناندو دي لوكي الذي جهز الأموال الكافية للبدء بعملية الاستكشاف[1]. وفي تشرين الثاني 1524 أبحر المغامرون بقيادة بيثارو والماكرو وعددهم حوالي مائة رجل في سفينة مجهزة بالأسلحة والمعدات، وبعد أن عبر المغامرون خليج سانت ميغال أتجهوا نحو ميناء بينياس في الجنوب، إلا أنهم تراجعوا بسبب الطقس العاصف، وبعد عشرة أيام حاولوا مجدداً حتى وصلوا إلى غابات كثيفة لم يستطيعوا التحرك خلالها بسبب الحرارة الشديدة والرطوبة والأعداد الهائلة من البعوض جعلت الحياة تعيسة بالنسبة للمغامرين الذين أصبحوا في حالة مشابهة للموت جوعاً، لذلك أعلنوا عن استيائهم الشديد، فقرر بيثارو السماح لهؤلاء المغامرين بالعودة

إلى بنما ثم عودة السفينة التي حملتهم مجهزة بالمؤونة إلى الرجال الذين ظلوا صامدين في تلك الغابات، وتم تنظيم ذلك بقيادة الضابط مونتينغرو، وبعد عدة أيام وجد بيثارو قرية هندية فأقام علاقة صداقة مع سكانها الذين قدموا له الذرة وجوز الكوكا، وكان لديه معرفة كافية بلغتهم بحيث استطاع معرفة وجود بلاد ثرية تقع بعيداً في الجنوب يمكن الوصول إليها برحلة عشرة أيام على الجبال، يحكمها ملك عظيم يمتلك كنوزاً من الذهب يُطلق عليه لقب (ابن الشمس)، وصدّق الإسبان القصة بسبب ارتداء الكثير من الهنود حلياً مصنوعة من الذهب[2]. وبعد ستة أسابيع تقريباً عاد مونتينغرو بالسفينة محملة بالأغذية والتجهيزات، مما شجع بيثارو ورفاقه على الإبحار مجدداً نحو الجنوب تعرض خلالها لعدة هجمات من قبل السكان الأصليين، لذلك قرر بيثارو والماكرو عام 1526 العودة إلى بنما لجمع قوة من المتطوعين وإصلاح السفينة، لكن حاكم بنما رفض بشدة، واضطر بيثارو للأنتظار حتى صيف 1527، إذ تمكن أخيراً من تجهيز سفينتين تحملان 160 رجلاً، وقد أبحروا لمسافة طويلة حتى وصلوا إلى نهر ريودي سان خوان، وهناك هجموا على بعض القبائل الهندية وأخذوا كميات من الذهب وبعض الأسرى، بعدها رجع الماكرو إلى بنما محملاً بالذهب، بهدف الحصول على متطوعين أكثر، بينما ظل بيثارو لتشكيل معسكر لأستكشاف البلاد المجاورة، وللمرة الثانية عاد البؤس والمعاناة والمجاعة في ذلك المناخ المداري والغابات الكثيفة، فضلاً عن هجمات القبائل لمدة طويلة حتى وصلت سفينة الإنقاذ بقيادة الماكرو محملة بالطعام والمغامرين، فأبحروا حتى وصلوا إلى ميناء تاكوميز، لكنهم لم يستطيعوا تحفيز الهنود على الأصغاء لكلامهم السلمي، فوجدوا أنفسهم محاصرين ومعرضين للهجوم حتى تمكنوا من التخلص والعودة إلى السفن ثم قرر الماكرو العودة إلى بنما للحصول على المساعدة، بينما رفض بيثارو وبعض رفاقه ذلك مما أدى إلى إثارة غضب حاكم بنما بسبب تمرد بيثارو ضد أوامره[3]. واصل بيثارو أبحاره نحو الجنوب حتى وصل إلى جزيرة كوركونا التي تميزت بوفرة المياه العذبة ومختلف النباتات، وهذا يعني بُعدهم عن خطر المجاعة واستقروا فيها لمدة سبعة أشهر، في تلك الأثناء بذل الماكرو والقس ايرناندو دي لوكي جهوداً كبيرة لإقناع حاكم بنما للحصول على إذن لإرسال سفينة واحدة تضم عدداً قليلاً من الرجال ومجهزة بالمؤونة، وعندما وصلت السفينة أصيب بيثارو بخيبة أمل شديدة؛ لأنها لم تضم العدد الكافي من المغامرين، لكن على الرغم من ذلك قام برحلة استكشافية حتى وصل إلى مدينة تومبيز وفيها شعر الإسبان بالدهشة من غزارة الذهب والفضة، فقد صنعت جميع الأدوات والأواني من تلك المعادن النفيسة، بينما كان المعبد يتلألأ برقائق الذهب على الجدران والمذابح والتماثيل، وشعر السكان بالخوف الشديد عندما شاهدوا الجنود الإسبان يرتدون الدروع ويطلقون الرصاص من بنادقهم. غادر بيثارو بسفينته المحملة بالكنوز والذرة الهندية والبطاطا ونبات اليوكا وجوز الكوكا والأناناس وحيوانات متنوعة وأسماك، وعندما كان يبحر على امتداد الساحل توقف في عدة أماكن سمع فيها عن القصة نفسها حول مملكة تقع ما وراء الجبال تسمى أرض الأنكا (البيرو)[4].

قرر بيثارو تجهيز حملة مسلحة لغزو أرض الأنكا، وكانت خطته الحكيمة تستند إلى العودة للإبلاغ عن ما شاهدوه وما سمعوا عنه ثم تنفيذ عملية الغزو، فوصل المغامرون إلى الدرجة التاسعة جنوب خط الاستواء ثم عادوا إلى نفس الطريق شمالاً إلى ميناء تومبيز ثم تحركوا بصورة مستقيمة عائدين إلى بنما، وقد رفض حاكمها تجنيد المتطوعين وجمع الأموال من أجل المغامرة الكبرى، وفي النهاية قرر بيثارو مناشدة شارل الخامس ملك إسبانيا وإمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة (1518-1558)، وبمجرد وصوله إلى إشبيلية عام 1528 تم إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن بتهمة عدم تسديد الديون في بنما، لذلك بذل صديقه كانديا جهوده لمناشدة بلاط الإمبراطور لإطلاق سراحه فحضر بيثارو إلى طليطلة أمام شارل الخامس الذي أثارته قصة مملكة الذهب والفضة في العالم

الجديد، فقرر دعم بيثارو بشدة وأحال قضيته إلى مجلس جزر الهند الغربية؛ لأنه كان على وشك المغادرة إلى إيطاليا[5]. وفي 25 تموز 1528 وقعت الإمبراطورة إيزابيلا الوصية على عرش المملكة على ميثاق تسوية حقوق وامتيازات بيثارو في استكشاف وغزو البيرو التي أطلق عليها اسم (قشتالة الجديدة) ولمسافة 200 فرسخ جنوب سانتياغو، وتعيينه حاكماً وقائداً عسكرياً مدى الحياة، ويتمتع بجميع السلطات التي تجعله نائباً للملك، كما منحت عدة مناصب لرفاق بيثارو المخلصين، وأصبح القس ايرناندو أسقفاً لمدينة تومبيز وحامياً للهنود في البيرو، فضلاً عن تجهيز المدافع والمعدات العسكرية لحملة بيثارو مع 250 رجلاً بموافقة حكومة قشتالة. وفي كانون الثاني 1531 بدأت الحملة الثالثة والأخيرة بالأبحار لغزو البيرو، فوصلوا إلى مدينة صغيرة في مقاطعة كواك التي هرب سكانها خائفين من الإسبان تاركين أكواخهم المملوءة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة مثل الزمرد، وقرر بيثارو إرسال هذه الكنوز إلى بنما متأملاً إنها تحفز وتشجع الكثيرين على المشاركة في الحملة، ثم استمرت الرحلة خلال أراضٍ رملية خالية من السكان، وانتشر الطاعون بين الإسبان فتوجه بيثارو نحو الشواطئ التي يطلق عليها الآن خليج غواياكويل في المحيط الهادئ غربي أمريكا الجنوبية، واستقروا في جزيرة بونا حتى وصول سفينتين إسبانيتين إلى الساحل فبلغ عدد قواته 300 رجل[6].

يبدو أن بيثارو استغل ظروف المنافسة والصراع حول العرش بين أبناء هواينا كاباك ملك البيرو الذي قام بتقسيم مملكته بين ولديه قبل وفاته، وهم هواسكار المحب للسلام الذي ورث القسم الجنوبي عاصمته كوزو، والآخر أتاهوالبا المحب للحرب ورث القسم الشمالي عاصمته كيتو، ما اندلعت حرب شرسة بين الأخوين انتهت بهزيمة هواسكار الذي سقط أسيراً بيد أتاهوالبا، وفي تلك الأثناء دخل بيثارو أرض البيرو، وبعد قتال في تومبيز استطاع إنشاء مستوطنة في وادي ثيربي التي أصبحت فيما بعد مدينة سان ميغيل، وفي هذا الوادي ترك بيثارو قسماً من رجاله وأخذ معه 173 جندياً وثلاثة قساوسة رغم أنه لم يكن متحمساً لنشر المسيحية مثلما كان كورتيس الذي حرص على نشر المسيحية في المكسيك؛ لأن شارل الخامس المتعصب دينياً للكاثوليكية كان يرغب بحملة صليبية دينية، فضلاً عن تحقيق سيطرته على العالم الجديد[7]. اندفع الإسبان نحو المدينة الجبلية التي أنشأ فيها الملك أتاهوالبا معسكراً وكان يضم جيشاً ضخماً، وقد ارسل الطرفان مبعوثين لبعضهما البعض، وبعد عدة مغامرات وصل الإسبان إلى جبال الأنديز والتي فوقها شقوا طرقهم وأسسوا معسكراً على جانب الجبل، وقد علم الإسبان بأن خمسين ألف مقاتل يقودهم الملك أتاهوالبا في طريقهم لملاقاتهم، لذلك قرر بيثارو ورجاله النزول من جبال الأنديز من الجانب الشرقي، وتطلب الأمر سبعة أيام حتى وصلوا إلى مدينة كاكسا مالكا التي أقام فيها معسكره، ثم عقد بيثارو مجلساً حربياً ووضع خطة جريئة لهزيمة جيش الانكا والتي تضمنت توجيه دعوة لأتاهوالبا لزيارة مبعوث الإمبراطور شارل الخامس في مدينة كاكسا مالكا، وكان ملك الانكا واثقاً بفخر من قيادته المطلقة للموقف، لذلك تنازل ووافق على دعوة بيثارو، وفي تلك الليلة اتخذ بيثارو خطوة جريئة ويائسة، إذ قام بهجوم مباغت على أتاهوالبا وسط حاشيته وأخذه أسيراً وبعد ذلك شعرت القوات الهندية بالخوف وهربت[8]. في الحقيقة كانت هذه اللحظة الحاسمة ونقطة الذروة في غزو البيرو والسيطرة عليها هنا عودة للحرب بين الأخوين والتي انتهت بمقتل هوساكار المحب للسلام، وعلى أساس حجة معينة أعدم الإسبان أتاهوالبا السيء الحظ، وأخيراً استولى المغامرون على الذهب وكنوز الأحجار الكريمة، ولكن هذا العمل القاسي لم ينتج السلام للإسبان الذين اختلفوا مع بعضهم، فالمحارب الماكرو خسر أمام بيثارو، وتم إلقاء القبض عليه وإعدامه في تموز 1538، وبعد مرور ثلاث سنوات أغتيل بيثارو من قبل أنصار الماكرو، وبذلك انتهت قصته بسفك الدماء[9].

كان بيثارو المغامر أكثر حظاً في غزو البيرو، لكن دوافع الجشع والطموح تحكمت به، وهذا ليس غريباً، فالرواد الإسبان الأوائل الذين وصلوا إلى أمريكا ليس جميعهم نبلاء، بل كانوا إسباناً تنقصهم الأحوال الجيدة كجنود وبحّارة أصبحوا عاطلين عن العمل بعد انتهاء حروب غرناطة وإيطاليا، وآخرون كانوا شباباً ورجالاً أقوياء الجسم لكن وسائلهم محدودة. ومن ضمنهم بعض النبلاء مثل كورتيس الذي أطاح بإمبراطورية الأزتك (المكسيك)، وعمال كادحون أميون مثل بيثارو الذي أطاح بإمبراطورية الانكا وجميعهم وجهوا أنظارهم نحو العالم الجديد بهدف تحسين أوضاعهم الاقتصادية وتدفعهم غريزة الاستحواذ على المال والذهب والفضة[10].

ثانياً : تنظيم وتوسيع الإدارة الاستيطانية الإسبانية في البيرو 1518-1598م

بدأ الإسبان منذ بدايات القرن السادس عشر العمل على إخضاع سكان البيرو وحكوماتهم إلى سياسة وتعليمات شارل الخامس ملك إسبانيا (1518-1558م) من خلال نائبه في البيرو، وقد شهدت سياسة الهجرة إلى العالم الجديد تغيراً واضحاً بمجيء شارل الخامس إلى العرش الإسباني، فلم تعد الهجرة والاستيطان تقوم على أسس الجماعة وإن الأهداف المشتركة أو ما يسمى الهجرة الإقطاعية، أي تلك الجماعة التي تذهب مع قائد للحملة هدفها الكشف والعمل في العالم الجديد كما تميزت بذلك الحملات المبكرة، بل أصبحت شؤون العالم الجديد تدار من مجلس جزر الهند الغربية الذي استحدث عام 1524 ليشرف على كل أحواله وأوضاعه التي أخذت تشهد تغيرات واضحة وربط تلك الأراضي بالحكومة الإسبانية مباشرة وليس أن تتبع حاكماً وجماعته، ويتألف هذا المجلس من رئيس وثمانية أعضاء وكان بمثابة الوكالة التي من خلالها تمكن التاج الإسباني من تثبيت سلطته على ممتلكاته الأمريكية وتطوير إدارته الاستيطانية[11]. تشكلت هيئات هذه الإدارة على أساس نماذج شبه الجزيرة الأيبيرية وتدريجياً سيطرت وحلت محل النظام الإداري الذي أنشأه الغزاة الإسبان، وتحولت السلطة الملكية إلى ممارسة السلطة بصورة دائمية، وانقسمت إلى مؤسستين مزدوجتين هما مجالس اودينيثياس Audiencias (الجماهير)، ومجالس نواب الملك، وكلاهما عانى من تغيير عند الانتقال من إسبانيا إلى أمريكا عبر المحيط الأطلسي، وأن هذه المجالس تختلف عن مجالس شبه الجزيرة الأيبيرية في اكتساب وظائف سياسية وإدارية وقضائية، ومن الناحية الأخرى كانت مجالس نواب الملك في بعض الأحيان ذات صلاحيات واسعة أكثر من صلاحيات مجالس أراغون، فقد تمتع الملك في البيرو بنفوذ كبير كحاكم أساسي بسبب ابتعاده الجغرافي عن إسبانيا بأستثناء مهمة إدارة العدالة التي كانت ضمن سلطة مجالس اودينيثياس لأن رغم التقسيمات بين مجالس نواب الملك ومجالس اودينيثياس كانت غير واضحة في الممارسات العملية، فإن سياسة التاج الإسباني في العالم الجديد تقوم على فصل الحكومة عن القضاء قدر الإمكان حتى تستطيع الوكالات المسؤولة عنهما مراقبة بعضها البعض[12]. لقد نجح التاج الإسباني في تشكيل نظام مراقبة دقيق تم توزيعه بعناية وحرص شديد بين عدد من المؤسسات المختلفة والمجموعات الاجتماعية، للمحافظة على سطلته في ممتلكاته الأمريكية. فالمسافات الشاسعة التي تفصل المملكة الإسبانية عن ممتلكاتها الأمريكية تشكل تحدياً للتاج الإسباني الذي لم يسبق له نظير في التاريخ الأوروبي، فمثلاً يتطلب إيصال رسالة من قشتالة إلى البيرو مدة ثمانية شهور او أكثر، وبصورة حتمية فإن النظام الإداري الذي قامت إسبانيا بتطويره خلال مجرى القرن السادس عشر كان يضم عيوباً كثيرة، ولكن رغم ذلك حقق نجاحاً بارزاً. في مواجهة ذلك التحدي إن سر هذا النجاح يكمن في الدمج الماهر للحكومة الإقليمية لأعلى درجة من المركزية الممكنة في إمبراطورية تضم أراضي بعيدة ومشتتة حتى أن بعض سكان المناطق لم يشاهدوا ملكهم شارل الخامس أبداً، وكان أغلب نواب الملك من النبلاء القشتاليين وذوي نفوذ كبير، وقد تمتعوا بسلطات هائلة، ولكنهم في الوقت نفسه مرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالحكومة المركزية في إسبانيا، وعلى

كل نائب العمل بما ينسجم مع المجلس المرتبط به في البلاط، فمثلاً رسائل نائب الملك في البيرو كان يتم استلامها والتعامل معها من قبل مجلس جزر الهند الغربية[13].

أسست الحكومة الإسبانية في 19 آذار 1525م تعليماتها بشأن الاستيطان في إقليم قشتالة الذهبية (البيرو وما حولها)، فعلى المستوطنين إقامة المدن بين الهنود، وأن يكون موقعها مناسباً للتبادل التجاري، وتقام فيها مزارع وتربية المواشي وتتوفر فيها الحاجيات الضرورية للمدينة كافة، وأصرت على أن لا يهاجر إلى تلك الأصقاع (لا اليهود ولا المتحولون الجدد المورسكيون، ولا الهراطقة البروتستانت). على هذا الأساس بدأ حاكم البيرو بالاهتمام بالنشاط الاستيطاني من أجل ضمان تبعية تلك الأراضي للعرش الإسباني مباشرة، إذ استوطن في البيرو حوالي 12,9% من سكان قشتالة، و31,1% من الأندلس، و19,3% عن استرامادورا الذين غادروا إسبانيا إلى البيرو مع المكتشف العادل بيدراريس دافيلا Pedrarrias Davila الذي أصبح فيما بعد حاكم إقليم قشتالة الذهبية. وفي عام 1535 تم تأسيس مدينة (ليما) كعاصمة للبيرو من قبل بيثارو[14].

يبدو أن السياسة الاستيطانية الشاملة لمجلس الهند لم تكن قابلة للتنفيذ بعد في العالم الجديد ليس بسبب عدم توفر الإمكانات المادية اللازمة لإقامة المدن والمستوطنات مثلاً، بل بسبب مواقف وأهداف وقادة الكشف وإصرارهم على الاحتفاظ بامتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية، لذلك أصر مجلس جزر الهند الغربية على سياسته هذه ورفض أية أفكار لشن حرب ضد الهنود، بل اقترح موافقة رجال الدين لأية حملة أستكشافية ليتمكنوا من منح المستوطنين القوة الروحية والأخلاقية اللازمة.

إن الصراع من أجل المحافظة على الهنود كان صراعاً تلتقي فيه مصالح رجال الدين والتاج الإسباني الذي لم يكن راغباً في خروج الهنود من منطقة القضاء والقانون الملكي الإسباني، ومن الناحية الأخرى اعتمد الإسبان الذين استوطنوا أمريكا اعتماداً كلياً على استغلال اليد العاملة الهندية كعبيد للحصول على أرباح من خلال عملهم بأعمال السخرة في مناجم الذهب والفضة ومعاملتهم بقسوة؛ لأنهم نظروا للهنود على أنهم متوحشون ولا يمكن جعلهم متحضرين[15].

وقد انخفض عدد الهنود في البيرو من 9000000 قبل الغزو الإسباني إلى 600000 نسمة عام 1620 بسبب الأوبئة التي حملها الإسبان عندما اخترقوا تلك الأراضي النائية ولاسيما مرض الجدري الذي كان وباءاً مدمراً، فضلاً عن التزامات اليد العاملة التي لم يعتد عليها الهنود وتعرضهم إلى المعاملة القاسية أثناء عملهم في المناجم، وبعد تقلص قوة العمل الهندية أصبح نظام الإلتزامات غير عملي، فبدأت السلطات الإسبانية هناك بتبني نظام جديد يُعرف في المكسيك بـ (ريبارتيمينتو) Repartimiento (توزيع باللغة الإسبانية)، وفي البيرو يعرف بـ Mita وبموجب هذا النظام تؤجر اليد العاملة المتوفرة لأصحاب العقارات لفترات محدودة[16]. وفي عام 1526 صدرت لائحة غرناطة التي أكدت على أولئك الذين يذهبون للكشف والاستيطان في العالم الجديد بأن عليهم الالتزام بأصطحاب اثنين من رجال الدين لتقديم الخدمات الدينية اللازمة للحملة، وأن يحث هؤلاء على ضرورة العمل بين الهنود ومعاملتهم بالحسنى لكي لا يقاوموا الوجود الإسباني هناك، وعليهم تهذيب هؤلاء الهنود لغرض تحويلهم آخر الأمر إلى المسيحية، وقد أكدت تلك اللائحة حرية الهنود، ويجب أن لا يستعبدوا إلا إذا وقفوا بوجه الاستيطان أو عرقلة البحث عن المناجم. ولتشجيع وتوسيع عمليات الهجرة صدرت لائحة طليطلة عام 1529 وبموجبها تحررت حركة الهجرة من احتكار وسيطرة غرفة تجارة إشبيلية، مما أدى إلى تهديد امتيازات ومصالح قادة الاستيطان في إقليم البيرو، وأدى في النهاية إلى أندلاع الاضطرابات آنذاك، لذلك أصدر شارل الخامس لائحتين في عامي 1542 و1543 (القوانين الجديدة) حيث طلب فيهما إقامة نظام إداري محكم لأستئصال الفوضى والاضطرابات هناك.

إن تشريع تلك القوانين يمثل مرحلة جديدة في الهيكل الإداري الإسباني في العالم الجديد، ولكن تطبيق تلك القوانين لم يكن عملية سهلة، إذ سرعان ما احتج قادة الاستيطان وأنصارهم في البيرو، واضطر شارل الخامس إلى تعليق عمليات الكشف عام 1550، واستمرت سياسته في مراقبة عمليات الاستيطان وتنظيمه[17]. وفي خمسينيات القرن السادس عشر عندما بدأ فجر عصر إنتاج الفضة أعطت إسبانيا وأمريكا انطباعاً أساسياً لبعضهما البعض، فقد قامت إسبانيا بتغيير شامل للجغرافية البشرية والحيوانية للعالم الجديد، وفي المجال البشري فأن إدخال أمراض جديدة لأول مرة، ومن ثم نظام تسخير اليد العاملة، قد أدى إلى تغيير توازن الحياة بصورة راسخة ضد الهنود مما أدى إلى انقراضهم[18]. كان الإسبان أبرز التيارات المهاجرة إلى البيرو بصفة خاصة وأمريكا اللاتينية بصفة عامة، فبرزت العادات والتقاليد الإسبانية بشكل ملحوظ والتي أصبحت مؤثرة في حياة المجتمع، وكانت الزراعة بأساليب بدائية تشكل المصدر الرئيسي لحياة السكان، لكن الإسبان قاموا بوضع وسائل جديدة في العمل لاسيما الزراعة والاهتمام بالحقول والأراضي الزراعية لم تكن معروفة لدى السكان سابقاً وساعدوا الأهالي في العمل على تنظيم أساليب العمل واستخراج الفضة من الأرض[19]، ففي عام 1560 كان عُشر عدد الإسبان في البيرو من العمال الحرفيين المهرة. واعتمد التاج الإسباني في النصف الثاني من القرن السادس عشر على سياسة تهدف إلى ضمان استمرارية تدفق الموارد المالية من العالم الجديد إلى إسبانيا، وليس تعبيراً عن اهتمام خاص بشؤون تلك الممتلكات، وفي عام 1568 تم تعيين فرانسيسكو دي توليدو Francisco de Toledo كنائب للملك لحكم إقليم البيرو. الذي قام بإعادة تنظيم البلاد من خلال إجبار الهنود والعبيد على العمل في مناجم الفضة إذ كان النشاط الاقتصادي الرئيس في البلاد[20]. واتبع فيليب الثاني ملك إسبانيا (1556-1598) سياسة تهدف إلى تنظيم الاستيطان في العالم الجديد والدفاع عن تلك الأراضي ومواجهة أعداء إسبانيا الذين أدركوا أنهم لا يمكنهم مواجهة إسبانيا في أوروبا بل في ممتلكاتها الأمريكية، وإقامة المستوطنات في المناطق والمراكز الاستراتيجية على السواحل الأطلسية للعالم الجديد وتعزيز الإدارة الإسبانية هناك[21].

حاولت الحكومة الإسبانية حصر الهجرة إلى العالم الجديد فقط للإسبان ذات العرق الأصلي، ولكن كان واضحاً أن الأجانب في الفترة المبكرة كانوا قد استوطنوا المستعمرات وهي الحدود التي كانت من الصعب حمايتها بصورة مؤثرة، وفي هذه الأثناء فإن التجارة الاستعمارية قد مرت من خلال سيطرة أيادي الخارجين من المملكة وهكذا فإن الإمبراطورية الاستيطانية الإسبانية بدت لترسي ثقافة كامنة ومجتمعاً كان منعكساً في الهيئة الكهنوتية الاجتماعية والتمايز الطبقي ممتداً نزولاً من الإسبان الأوروبيين الذين حملوا كل الدوائر الدينية والدنيوية من خلال النبلاء المستعمرين والتجار والهنود والأفارقة الذين تم توظيفهم للعمل كعبيد في الزراعة[22]. أصدرت الحكومة الإسبانية عام 1573 لائحة أسس الكشف والاستيطان وتهدئة الأحوال في جزر الهند الغربية والتي تتألف من (148) فقرة شملت كل نواحي الحياة في العالم الجديد، وهي نتاج الخبرة الإسبانية المتراكمة لمدة 75 عاماً، وبهذه الأسس أغلقت صفحة الكشف في تاريخ الإمبراطورية الإسبانية، وتعززت مرحلة الاستيطان وبناء المدن والتوسع في الإنتاج الزراعي والصناعي في العالم الجديد. إن تلك اللائحة تعكس الامتيازات التي منحت للمهاجرين الإسبان وقادة الكشف طيلة القرن السادس عشر، وبهذه الأسس لم تعزز إسبانيا وجودها الروحي والديني في العالم الجديد بوصفها زعيمة العالم الكاثوليكي آنذاك، بل طبعت ذلك العالم بطابعها الاستعماري والمادي أيضاً الذي مازال يميز حياة تلك المناطق حتى وقتنا الحاضر[23].

وفضلاً على ما تقدم يظهر واضحاً من تلك الأسس أن هدف الهجرة إلى العالم الجديد لم يعد البحث عن الثراء السريع كما كان في بداية حركة الكشف، بل الاستيطان والعمل في تلك الأراضي لاسيما أن أوضاع العالم الجديد في أواخر القرن السادس عشر لم تكن كما هي عليه منذ قرن،

ولأسباب عديدة ومعقدة جداً، وتكرر حدوث الأمراض المتواطنة التي نقلها المستوطنون إلى هناك، وقد تجدد الصراع مرة أخرى في إقليم البيرو عام 1585 وتكررت الغزوات والتدمير للموانئ الإسبانية هناك من الفرنسيين والإنكليز[24]. ويبدو مما تقدم أن إسبانيا أسست أول إمبراطورية أوروبية في العصور الحديثة قدمت من خلالها الديانة المسيحية للهنود، ولكنها أخذت بالمقابل المعادن الثمينة ونقلت لها حضارتها الممزوجة بين الحضارة القوطية والحضارة الإسلامية.

الخاتمة :

إن نهوض الإمبراطورية الإسبانية في العالم الجديد يعد واحداً من أكثر الأحداث أهمية في تاريخ العالم، لكون سفينة صغيرة قد غامرت في ريح عاتية عكست المبادرة الديناميكية بوجود الفاتحين الإسبان الذين كان عليهم مواجهة التمرد في البحار ومقاتلة السكان المحليين والمجاعة والحر المداري في لحظة واحدة. وأن القادة ذوي الثقة بالنفس لا يمكن مقارنتهم وبيد مملوءة برجال عديمي الثقة، فقد نجح بيثارو بدحر إمبراطورية الإنكا والتي كانت الحرب بالنسبة لهم حياتهم ودمهم، ولكن هذا الحدث له بصمات عديدة كالقسوة وعدم الإنسانية والخيانة والجشع، فضلاً عن المثالية التي أدت دوراً صغيراً في إرساء إمبراطورية إسبانية في أعالي البحار والتي عانى منها السكان المحليون، وبالتالي فإن القليل من المؤسسات الاستيطانية قد بدت أكثر مثالية حيث أظهر الملوك الإسبان أن امتداد مملكتهم كبعثة مسيحية تتضمن تطهير الأرواح أكثر أهمية من اكتساب الذهب والفضة، وبذلك فأنهم كانوا مدعومين من قبل الكنيسة الكاثوليكية الإسبانية. وبذلك شكل احتلال البيرو خاتمة للاستيطان الإسباني لجنوب أمريكا، فاكتسب الإسبان إمبراطورية عظيمة ظلت متماسكة حتى القرن التاسع عشر.

الهوامش:

(1) Christopher Hare, A Great Emperor Charles V (1519-1558), London, 1917, pp. 143-144.

(2) Ibid, pp. 144-145.

(3) William Prescott, History of the Conquest of Peru, London, 1902, P.72.

(4) Prescott, op. cit., p. 145-146; James D. Tracy, Emperor Charles V, Impresario of War, Cambridge, 2002, p. 155.

(5) Haring Clarence, Trade and Navigation between Spain and the Indies in the Time of the Hapsburge, Cambridge, 1918, P. 69-70.

(6) A. Rodriguez, El Emperador Carlos V 1500-1558, Vol. 1, Madrid, 1905, p.201.

(7) Prescott, op. cit., p.74.

(8) Hare, Op. cit., p. 155-160.

(9) Prescott, op. cit., p.75-77.

(10) Hare, Op. cit., p. 160-161; Valentín de Pedro, América en las Letras Españolas del siglo de Oro, Buenos Aires, 1954, p.81.

(11) Abate Balestrieri, Carlo V, Madrid, 1901, p.42.

(12) J.H. Elliotte Imerial Spain 1469-1716, 1st.ed, London, 1966, p.174.

(13) Ibid. of. 175.

(14) Martinez, M.M.C, La Emigracion Castillana y Leonesa al Nuevo Mundo 1527-1700, Salamanca, 1993, p.55.

(15) Henry Kamen, Spain 1469-1714 A society of Conflict, 1st.ed., New York, 1983, p.94-95.

(16) Ibid, p.96.

(17) Martinez, Op. cit., p.56; J. H. Elliott, The Old World and the New 1492-1650,Cambridge University press, 1970, p.70.

(18) Kamen, Op. cit., p.95; Manuel Fernández Alvarez, Política Mundial de Carlos V Y Felipe II, Madrid, 1966, p.53.

(19) Martinez, Op. cit., p.56.

(20) Kamen, Op. cit., p.91.

(21) Clarence, Op. cit., p.71.

(22) Charles Chapman, A History of Spain, New York, 1958, p.62.

(23) Martinez, Op. cit., p.66-67; F. Prudencio Sandoval, Historia Del Empera dor Carlos V, Tomo. II, Madrid, 1816, p.99.

(24) Mendicta. J. Historia Acdesiastica Indiana, Madrid, 1973, p.93.

المصادر :

أولاً : الكتب الإنكليزية

1. Charles Chapman, A History of Spain, New York, 1958.
2. Christopher Hare, A Great Emperor Charles V (1519-1558), London, 1917.
3. Haring Clarence, Trade and Navigation between Spain and the Indies in the Time of the Hapsburge, Cambridge, 1918.
4. Henry Kamen, Spain 1469-1714 A society of Conflict, 1st.ed., New York, 1983.
5. James D. Tracy, Emperor Charles V, Impresario of War, Cambridge, 2002.
6. J.H. Elliotte, Imerial Spain 1469-1716, 1st.ed, London, 1966.
7. _____ , The Old World and the New 1492-1650, Cambridge University press, 1970.
8. William Prescott, History of the Conquest of Peru, London, 1902.

ثانياً : الكتب الإسبانية

1. Abate Balestrieri, Carlo V, Madrid, 1901.
2. Manuel Fernández Alvarez, Política Mundial de Carlos V Y Felipe II, Madrid, 1966.
3. Mendicta. J. Historia Acdesiastica Indiana, Madrid, 1973.
4. Martinez. M.M.C, La Emigracion Castillana y Leonesa al Nuevo Mundo 1527-1700, Salamanca, 1993.
5. F. Prudencio Sandoval, Historia Del Empera dor Carlos V, Tomo. II, Madrid, 1816.
6. A. Rodriguez, El Emperador Carlos V 1500-1558, Vol. 1, Madrid, 1905.
7. Valentín de Pedro, América en las Letras Españolas del siglo de Oro, Buenos Aires, 1954.

Spanish settlement policy in Peru in the sixteenth century

Assistant Professor Dr. Faten Mohi Mohsen
Al-Mustansiriyah University
The Basic Education College
The history department / European history modern
www80ff@gmail.com

Abstract:

The policy of the Spanish government towards the New World was not limited to the idea of trade exchange and the establishment of commercial stations in the discovered areas, but the settlement in those lands in order to transform them into the Catholic faith and the European civilization with all its features. Thus, the lands of the New World became not an area for scouting adventures, but rather areas for the settlement of many of The Spaniards, and in the first half of the sixteenth century, the Spaniards succeeded in conquering Mexico and Peru, laying the foundation stone for a Spanish empire in the New World, thus supporting the growth of the world market because those possessions provided them with much-needed money for political and economic expansion through their acquisition of precious metals (gold and silver) in the New World, which had a severe impact on European prosperity.

The research discusses the beginning of the Spanish settlement in Peru, then sheds light on the policy of organizing and expanding the settlement administration in Peru for the period 1518-1598, reviewing the most important laws that were enacted as a new stage in the Spanish administrative structure in the New World.

key words: Settlement , Peru , Pizarro , Spanish Empire**.**